

تفسير ابن كثير

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ^ج وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ^ط
إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد :

(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أي : ما ثم إلا هذه الدار ، يموت قوم

ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ، ويقول

الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البداءة والرجعة ، ويقول الفلاسفة الدهرية الدورية

المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان

عليه . وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ؛ ولهذا

قالوا (وما يهلكنا إلا الدهر) قال الله تعالى : (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)

أي : يتوهمون ويتخيلون . فأما الحديث الذي أخرجه صاحبها الصحيح ، وأبو داود ،

والنسائي ، من رواية سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي

هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يقول الله

تعالى : يؤذيني ابن آدم ؛ يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب ليله ونهاره " وفي رواية : " لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر " . وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ، وهو الذي يهلكنا ، يميئتنا ويحيينا ، فقال الله في كتابه : (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) قال : " ويسبون الدهر ، فقال الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار " . وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن منصور ، عن شريح بن النعمان ، عن ابن عيينة مثله : ثم روي عن يونس ، عن ابن وهب ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الليل والنهار " . وأخرجه صاحبها الصحيح والنسائي ، من حديث يونس بن زيد ، به . وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- قال : " يقول الله : استقرضت عدي فلم يعطني ، وسبني عدي ، يقول : وادهراه .
وأنا الدهر " . قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ، عليه الصلاة
والسلام : " لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر " : كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم
شدة أو بلاء أو نكبة ، قالوا : يا خيبة الدهر . فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه ،
وإنما فاعلها هو الله [عز وجل] فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل ؛ لأنه فاعل ذلك في
الحقيقة ، فهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار ؛ لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ،
ويسندون إليه تلك الأفعال . هذا أحسن ما قيل في تفسيره ، وهو المراد ، والله أعلم . وقد
غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى ، أخذوا من
هذا الحديث ..